

www.kotobarabia.com
حديقة الحكايات
سمر إبراهيم
www.kotobarabia.com

حديقة الحكايات

تأليف

ـر إبراهيـم

حديقة الحكايات

* حكايات لم ترو من قبل *

* حكايات للصغار الكبار *

الفهرس

قال الراوي.....

القط والظل

كان هناك قط جميلُ الشكل، بلدي النوع، لونُه رمادي، ذو خطـوطٍ طوليـةٍ، عـريض الوجهِ، اسمه "بلبل"، وتُحكى عن هذا القط حكاياتٍ كثيرةً.

ومن بين ما يحكى عنه، أنه كان يعيشُ في بيتٍ بصحبةِ صديقٍ له، فتى صـغير، يحبـه، ويعطفُ عليه كثيرا، ولكن "بلبل" كان يحب الوحدةَ، والجلوس بمفردِه، ويكره أن يجالـسه قـط آخر، بل إنه كان يخافُ من القططِ الأخرى، بالرغمِ من هيئةِ جسمِه القويةِ، التي يمكن أن تخيفَ أي قط يراه، ولذلك كان سعيدا بالبقاءِ مع صديقِه الصغير، فهو لا يرى أي قط غريبٍ.

وفي يومٍ من الأيامِ، رأى "بلبل" ظله، فظنه قطا، فقالَ لنفسه:" أبتعد عن القططِ، فتأتي إلي، لابد أن أرحلَ عن هذا البيتِ، وأبحثُ عن مكانٍ آخر، ليس فيه قِططٌ".

وخرج "بلبلٌ" من باب البيتِ، ونظر خلفَه، فرأى "القط الظل"، فقالَ في نفسه:" إنه يتْبعِني. لابد أن أرحلَ مسرعا من هنا".

وجرى القط "بلبل" بكل طاقتِه، حتى تعب، فتوقفَ، ونظر خلفَه، فتعجب، فما زالَ القـط الظل وراءه.

ويكملُ رواةُ تلك الحكايةِ، بأن القط "بلبل" ظل يجري خائفًا من القط الظل، حتى ابتعـد، وتاه عن بيتِهِ، وأنه لا يزالُ يجري حتى الآن، ولم يتوقفْ أبدا، والقط الظل ما زالَ خلفَه.

الأمير والقطة مشمشة

يحكى أنه كان هناك أمير اسمه "سعيد"، وكان فعلا سعيدا. كان أبوه الملك يحبـه كثيـرا، ويحضِر له كل ما يريد: لعب، ملابس، مجوهراتٌ، كل ما يطلب. وكان الأمير "سـعيد" يحـب اللعب، وكلما رأى لعبةً جديدةً يطلبها من أبيه، فتأتي له في الحال.

وكانت غرفةُ نومِه مبطنةٌ بالخشبِ دائريةُ الشكل، مغطاةٌ بالستائرِ المزركـشةِ، امـتلأتْ جدرانَها بصورِ الحيواناتِ والطيورِ التي يعشقُها، وفي ركنِها الأيسرِ كانت لعب كثيـرةٌ، بكـل الأشكال: الحيواناتُ، الأجهزةُ، الآلاتُ الموسيقيةُ. كل ما يخطر على بالٍ. وعندما يدخلُ الأميـر سعيد غرفتَه ترقص لَه اللعب، وتعزفُ له الموسيقى وتلعب معه، فيظل يجري ويلعب معها ثـم يجلس على كرسيه الهزاز سعيدا، يهز قدميه في فرحٍ.

***

وفي يومٍ من الأيامِ خرج الأمير "سعيد" في جولتِه الصباحيةِ إلى حديقةِ القـصرِ، يـستمتع بنسمةِ الصباحِ، وروائح الزهورِ المنْعشةِ، ويقفز في سعادةٍ مداعبا الفراشاتِ الملونةَ.

وقُرب بابِ الحديقةِ لمح من وراءِ السورِ فتًى صغيرا، يمسك لعبةً على شكل قطةٍ مشمشيةِ اللون، كان يتحدثُ معها:

- ما رأيكِ أن نلعب معا لعبةَ الفوازيرِ؟

- موافقةٌ.

- سار عدد من الأولادِ في صف فكانُوا أربعةً أمام ولدٍ، وأربعةً خلفَ ولدٍ، وولـدا فـي الوسطِ، فكم كان عدد الأولادِ؟

صمتتْ القطةُ "اللعبةُ" لحظةً، ثم قالتْ:

- خمسةُ أولادٍ.

- دوركِ يا مشمشمة.

- ما الأعداد الثلاثةُ التي يساوي حاصلُ ضربِها حاصلَ جمعِها؟!!

- سهلةٌ: ١، ٢، ٣.

- جميلٌ يا حسن، دورك.

- ما الحيوان المائِي الذي له ثلاثةُ قلوبٍ ؟

- الإخطبوطُ.

وكان حسن يسير، ويبتعد عن سور الحديقةِ، وسمع الأمير "سعيد" ، صوتَ القطةِ "اللعبـةِ" يقولُ:

- ما البيتُ الذي لا يمكن أن يسكن فيه أحد؟

ولم يسمع الأمير "سعيد" الإجابةَ، فقد ابتعد حسن بقطتِه، وقالَ الأمير "سعيد" لنفسِهِ: "قطةٌ لعبةٌ تتكلم، وتحل الفوازير، ممكن أن تتكلم اللعب، ولكنه سيكون كلاما مسجلا، لا تتجاوزه، أما هذه القطةُ فهي تجيب على الأسئلةِ الغير متوقعةٍ، وتحلّها بيسرٍ في لحظاتٍ، لابد أن يحضر لـي أبي لعبةً مثلَها، بل أفضلُ منها، فكيفَ يملك هذا الفتى الفقير ما لا يملكُه ابن الملكِ. آه.. تُرى ما حل فزورةِ القطةِ، سأعرفُه.

واتجه الأمير "سعيد" لأبيه الملكِ، وهو جالس على عرشِهِ مع مستشاريه، وطلب "سـعيد" من والدِه قطةً لعبةً تتكلم، فقالَ أبوه الملك:

- لديك لعب كثيرةٌ تتكلم.

فقالَ الأمير سعيد:

- أريد قطةً لعبةً، تجيب على أسئلةٍ غير معروفةٍ لها، وتحكي لي الحكاياتِ.

فاحتار الملك، ونظر إلى مستشاريه، وقالَ:

- هل هناك لعبةٌ هكذا؟

فقالَ الأمير سعيد في عجلةٍ:

- نعم. لقد رأيتُها.

فأمر الملك حراسه أن ينطلقُوا في المدينةِ بحثًا عن تلك اللعبةِ المزعومةِ.

فرح الأمير "سعيد" بأمر أبيه، وذهب إلى حجرتِهِ مطمئنًا أنه سيحصلُ على ما يريد، وبعد ساعاتٍ طِوالٍ لم يظهر أحد، ولم يستدعه والده، فانطلقَ الأمير إلى أبيه، وسأله عن اللعبةِ، فقالَ له والده:

- لم يجدوا في المدينةِ، هذه اللعبةَ، وبعثتُ من يسألُ عنها في المدن المجاورةِ، هل أنـتَ واثقٌ من وجودِ مثل هذه اللعبةِ يا سعيد؟

قالَ الأمير بغيظٍ:

- طبعا لقد رأيتُها بنفسِي، وسمعتُها تتكلم، تسألُ وتجيب.

وهم الملك أن يتحدثَ، فقاطعه الأمير "سعيد" قائلا:

- لا أريد غيرها، أريد تلك القطةَ "اللعبةَ".

وتغير حالُ الأمير، فقد أصبح حزينًا، وظل لأيامٍ طوالٍ لا يأكلُ إلا القليلَ، ولا يشغلُ بالَـه سوى هذه القطّةِ "اللعبةِ"، حتى هزلَ ومرض. وحاولتْ لعبه التسريةَ عنه، ولكنه لم يهـتم بهـا، وكان لا ينطقُ إلا بالاسمِ الذي أطلقَه حسن على قطتِه اللعبةِ "مشمشة". وفكر الأمير سعيد، وقالَ لنفسِهِ:"أذهب إلى حكيمِ القصر وأساله عن أمر مشمشةٍ ربما يعرفُ من أين آتي بها".

وحكى الأمير سعيد للحكيمِ قصتِه، وفزورةُ القطةِ التي لم يستطع حلها، فقالَ له الحكيم:

- إن في هذه القصةِ لغزا لابد أن تسألَ صاحب القطةِ عنه، فربما هناك أمـر لـم تـره بعينِيك، أو تسمعه بأذنيك، أما عن حل اللغز، فهو سهلٌ وبسيطٌ يمكن أن تهتدِي إليه بنفسِك.

فقالَ الأمير:

- هل أستدعيه إلى؟

ضحك الحكيم، وقالَ:

- حتى نَرى الحقيقةَ يا أمير كاملةً لابد أن نراها عن قربٍ في مكانِها، جـرب أن تـسأله كصديقٍ، وليس كأميرٍ، فأنتَ الطالب وليس هو.

وقرر الأمير "سعيد" أن ينطلقَ إلى الحديقةِ بحثًا عن "حسن وقطته مشمشة".

انطلقَ الأمير "سعيد" يبحثُ قرب سور حديقةِ قصره عن حسن وقطِته اللعبةِ "مشمـشة"، فلم يجده، وفي طريق عودتِه إلى القصر مهموما سمع صوتَ حسن يقولُ:

- ما رأيكِ أن...

فجرى الأمير عائدا اتجاه سور حديقةِ القصر، ومن خلفِ الأشْجار الضخمةِ المورقةِ ناداه:

- حسن.

فنظر حسن حوله فلم ير أحدا.

فقالَ له الأمير "سعيد":

- حسن. ادخلْ الحديقةَ.

تردد حسن ولم يتحرك، فقالَ له الأمير "سعيد":

- ادخلْ يا حسن لا تخفْ. أنا الأمير سعيد.

نظر حسن من وراءِ السور، وقالَ للأمير سعيد:

- أدخلُ؟ ماذا تريد يا أمير منى؟

قالَ له الأمير سعيد:

- ادخلْ أرجوك. أريد أن أسألك عن شيءٍ.

دخلَ حسن مترددا من بابِ الحديقةِ، بعد أن رفع يده مشيرا بحركةِ وداعٍ لم يلحظْها الأمير "سعيد". ومشى حسن مع سعيد وهو في حالةٍ من الدهشةِ لا يصدقُ ما حدث، حتى وصـلا إلـى أرجوحةٍ في وسطِ الحديقةِ بجوار نافورةٍ مندفعةِ المياهِ بأشكالٍ دائريةٍ جميلةٍ ومحاطـةٍ بـألوانٍ فسفوريةٍ لامعةٍ، نظر إليها حسن في إعجابٍ، جلس الأمير "سعيد" على الأرجوحةِ، وقال لحسن:

- اجلس أريد أن أتحدثُ معك.

قالَ حسن:

- قلْ يا أمير.

قالَ الأمير سعيد:

- هل يمكن أن أرى قطتَك المدهشة هذه؟ مِن أين جئتَ بها حتى آتى بمثلِها؟

فتح حسن فاه وبحلقَ بعينيهِ في الأمير سعيد، وقالَ:

- تفضلْ. إنها قطةٌ لعبةٌ مصنوعةٌ من القماشِ وموجودةٌ في سوقِ المدينةِ.

أخذَ الأمير "سعيد" القطةَ اللعبةَ من حسن، وظل يقلبها فلم يجد بها شيئًا غريبـًا، فحـدثَها قائلا:

- كيف حالكِ يا مشمشة؟

فلم ترد القطةُ عليه.

فقالَ لحسن:

- إنها لم ترد علي، آه لأنها لا تعرفِني. عرفني بها حتى أتكلم معها.

قالَ حسن:

- كيفَ تكلمك يا أمير؟ وهل تتكلم اللعب من ذاتِها؟

قال الأمير "سعيد":

- لقد سمعتُها تحدثك عند السور منذُ أيامٍ قلائلَ.

قالَ حسن:

- ما الحكايةُ يا أمير؟

حكى الأمير "سعيد" ما حدثَ لحسن، فضحك حسن، وقالَ له سأقولُ لك السر بعد ثوانٍ يـا أمير.

وجرى حسن مسرعا في اتجاهِ سورِ الحديقةِ، فسألَه الأمير بلهفةٍ:

- إلى أين أنتَ ذاهب؟

قالَ حسن:

- سأعود انتظر يا أمير.

عاد حسن بعد دقائقَ قليلةٍ بصحبتِه فتى أسمر أجعد الـشعر، ملابـسه نظيفـة ومتناسـقة الألوان، بالرغمِ من بساطتِها، واقتربا من الأمير، وقال حسن:

- هذا محمد صديقي. إنه القطةُ مشمشةٌ، نحن نلعب يا أمير، يمثلُ محمد أحيانًا دور القطةِ "مشمشة"، وأحيانًا يكون أسدا أو قردا أو نِمرا تبعا للعبة التي معنا، وجميعها لها أسماء.

نظر الأمير بدهشةٍ لهما، وقالَ:

- إذن إنها لعبتُكُما معا.

وصمتَ لحظة ثم أكملَ قائلا:

- ليس لدي أصدقاء ألعب معهم، وعندي لعب كثيرةٌ، ويمكن أن نؤلفُ بها تمثيلات كثيرةً أبطالُها عديدون، ما رأيكما؟

وقالا في صوتٍ واحدٍ:

- موافقان طبعا.

قالَ الأمير:

- هيا بنا نصعد لغرفتِي لتريا اللعب الكثيرةَ، ونلعب سويا.

وفي الطريق لداخل القصر، استوقفَهما الأمير قائلا لهما:

- ما البيتُ الذي لا يمكن أن يسكن فيه أحد؟

ضحك حسن، وقالَ:

ألم تعرفُه يا أمير.

فقالَ محمد:

- إنه بيتُ الشعر.

وضحكُوا معا كثيرا، وانطلقُوا في طريقِهم إلى القصر.

القط بلبل والجد

جلس القط بلبل كعادتِهِ كل يومٍ على الكنبةِ بالصالةِ المؤديةِ إلى بابِ الشقةِ الخارجِي ممددا رجليه للخلْفِ، ويديهِ للأمامِ، ومسندا رأسه على يديهِ مغْمِضا عينيهِ نِصفَ إغْماضَـةٍ، ينْتظـر عودةَ صديقتِهِ الصغيرةِ "هدى" من زيارةٍ لإحدى صديقاتِها. سمِع بلبل صوتًا عاليا إلى حـد مـا يصدر عن الحجرةِ المجاورةِ، فاعتدلَ وحرك أذنيْهِ في اتّجاه الصوتِ مستَمعا:

- أنْتَ مِثْلَ القط بلبل كسولٌ لا فائدةً لك. نرعاك ولا تَفْعلُ أنت شَيًئا، متى تَعـود أمكـا وأعود إلى بيتي؟

تَعرفُ بلبل على الصوتِ، كان صوتُ الجد يؤنب حفيده الأصغَر، فقد كان ولدا شـقيا لا يكف عن اللعبِ، ويأبى فَعلَ أي شيءٍ يطلب منه. كان الجد قد طلَب منه أن يسقِي نَباتاتَ غُرفـةَ حجرتِهِ لكنه لم يفعلْ، بلْ استمر في لَعِبِهِ غير عابئٍ.

ولم يسمع بلبل رد الفَتى، فقالَ في نَفْسِهِ: "لابد أنه اصطنع الندم الآن أمام جـده الطيـبِ، ونظر إلى الأرضِ مدعيا الخَجلَ من فَعلتِهِ، فعمرو لا يفعلُ إلا ما يريد، آه يا جدي لو اسـتطعتَ أن أكلمك وأعرفك أنّني لستُ كسولا كما تظُن".

وبعد لَحظاتٍ سمِع بلبل صوتَ خَطواتٍ صاعدةٍ على السلمِ، فأرهفَ السمع، فاتحا عينيـهِ، ومتوثبا، وأدرك أنها صديقتُه هدى، فقفز بسرعةٍ واتجه نحـو البـابِ الخَـارجِي للـشقةِ، ورن الجرس، وكان بلبل أمام البابِ يهز ذيلَه ويموء بنبرةٍ خَاصةٍ، وكأنه ينادي على أحدٍ كـي يفْـتح الباب لصديقِتهِ، وقِدم عمرو وهو يضحك، وقالَ لبلبل:

- صديقتُك جاءتْ.

وعنْد عبورِ هدى بقَدمِها اليمنى إلى الداخل تَمسح بِها بلبل، وبعد دخُولها الـشقةِ وغَلْقِهـا للبابِ الخارجي خَلْفَها، نَظر إليها بلبل فى عينيها ثم ماء، ودار حولَها وقفز فَوقَ كتفيها وتَمـدد، وظل يقْبض يديهِ ويبسطُ إياها بحذرٍ حتى لا يصيبها بِجرحٍ، معبرا بذلك عن شَوقِهِ لها وفَرحتِـهِ بعودتِها. جلستْ هدى على الكنبةِ القَريبةِ من البابِ الخَارجي للشقةِ التي كان يجلس عليها بلبـل، وأنْزلَتْه من فوقَ كتفيها، وظلتْ تَربتْ عليه، فتَكور بلبل في حِجرها، مائِلا برأسِهِ إلـى الأمـامِ، فحملتَه بين يديها، وسارتْ إلى غَرفةِ جدها لِتسلم عليه، وعِند وصولها إلى بابِ غَرفةِ الجد، فَتح بلبل عينيه منْتبها، وقفز مبتعدا، وظل ينظر إلى الجد عن بعدٍ مترقبا، ثُم عاد إلى مكانِهِ المفضل، وجلس منْتظرا صديقتَه.

عِندئذٍ قالَ الجد لهدى:

هدى، لا أفْهم هذا القط، ولماذَا تُحبونه؟

اقْتَربتْ هدى من جدها، وقَبلتْ جبينَه، وقَالَتْ:

إنه يحبنا أيضا يا جدي. انْظر يا جدي إنه لا يدخلُ، فهو لا يريد مضايقتَك.

وصمتَ الجد، ولم يجب.

****

وفي أحدِ الأيامِ استيقظَ الجد مبكرا لِيوقظَ أحفاده، يذْهب عمرو إلى الحضانةِ، وأخْتُه هدى إلى المدرسةِ، وكان الجد متْعبا، وبعد إعدادِ الإفْطارِ للأحفادِ، وضع برادا به ماء على البوتجـاز ليعد شايا، ثُم عدلَ عن فكرتِهِ، فنَادى عمرو، وقالَ له:

- اطْفئ البوتاجاز قَبلَ خُروجِك، لا تنْس ذلك فأنا متْعب وسأستريح قليلا.

وذَهب الجد إلى غُرفتِهِ، وجلس على كرسي هزازٍ يقرأُ حتى يأتيه النوم مرةً أخْرى. وكان بلبل يجلس بالصالةِ مراقبا الجد عن بعدٍ، فقد شعَر أنه متعب، وحالتَه لَيستْ على ما يرام ككـل يومٍ، فقالَ في نَفْسِهِ:"لولا نُفُورك مِني أيها الجد لجلستُ بِجوارِكِ أرعاك".

وغفَا القط بلبل قليلا ثم استيقظَ على رائحةٍ غَريبةٍ تَعم الشقةَ، وتَشَمم بلبل الرائحةَ، فأدرك أنها دخان، فنهض وقفز إلى الأرضِ، وذهب للبحثِ عن مصدرِ الدخان، فاتْجه إلى غُرفةِ الجـد، فرآه نَاعسا فوقَ كرسيه الهزاز. تَشمم بلبل حولَه، فعرفَ مصدر الرائحةِ. إنه المطبخُ، فجـرى نَحوه، فوجد الدخان قد عم المكان، فابتعد خَائفًا، ثُم جرى نَحو الجد، ولأول مرةٍ يقْتـرب منـه ويموء بجانِبِهِ بصوتٍ عالٍ وحاد، كي يستيقظَ، ولكن الجد لم يسمع مواءه، فعـاد إلـى المطـبخ مترددا، فوجد الدخان ينْتشر عبر البيتِ، وكانت نَوافذُ الشقةِ مغْلقةً فنحن في فَصل الشتاءِ، فقـالَ لنَفْسِهِ: "سيخْتنقُ الجد إنه كبير في السن، ولن يحتملَ هذا القَدر من الدخان. ماذا أفعلُ؟ لابـد أن أُوقظَه".

وعاد إلى الجد بِسرعةٍ، وقفز على رجليهِ ووقفَ، وقد مد يديه محركًا إياها بحـذرٍ علـى صدرِ الجد ليوقظَه، وظل يموء في وجههِ بصوتٍ عريضٍ دالٍ على الخَطـر، فاسـتيقظَ الجـد، وصرخَ في وجههِ:

- ماذا تُريد؟

فجرى القط ناحيةَ المطْبخ وظل يموء، ثُم عاد إلى غُرفةِ الجد مرةً أخرى، وظل يفْعلُ ذلك عِدةَ مراتٍ بِسرعةٍ كبيرةٍ لَفتَتْ نَظر الجد، فقالَ الجد لنفسِهِ: "غَريب أمر هذا القِط ماذا يريد؟ لعله يريد طَعاما".

وقَام الجد وسار خَلْفَ القط إلى المطْبخِ، فوجد الدخان الكثيفَ يعم المكـان، والبوتاجـاز مطْفأ، والبراد أحمر اللون، وقد نَفَدت ماؤه تَماما، فأغلقَ الجد البوتاجاز بسرعةٍ، وفـتح شُـباك المطبخ.

وعاد الجد إلى غُرفتِهِ، وفتح شباكها، جلس الجد على كُرسيه الهزاز مرةً أخرى، واقْترب القط بلبل من غُرفةِ الجد، ووقفَ على بابِها ينظر إلى الجد ليطمئن عليه، وماء له بصوتٍ رقيقٍ، وابتسم الجد له لأول مرةٍ، وقالَ له في حنوٍ:

- شُكرا يا بلبل أنتَ حقا قط طيب، اقْترب منى لا تخفْ يا بلبل.

واقْترب بلبل في حذرٍ من الجد، ثُم وقفَ بجانبِهِ، فربتَ عليه الجد، وقالَ له:

- آه أنك قط جميلُ الشكل لم ألْحظْ ذَلك من قبلُ، لونُك رمادِي مخَطط، وعيناك واسِـعتان معبرتان، ووجهك مستطيلٌ، ونَظْرتُك تَفيض بالحب، عرفتُ الآن لماذا تُحبك هدى؟ ولماذا تُدافع عنك دائما؟

وتَمسح بلبل بالجد، ثُم نام بالقربِ منه، وقالَ لنفسِهِ: "أخِيرا يا جدى".

***

سمِع بلبل اقْتراب صوتِ أقْدامِ هدى من بابِ الشقةِ، فتَنبه من غَفْوتِهِ، ونَظر إلى الجد ثـم أسرع اتْجاهِ بابِ الشقةِ، وفَتحتْ هدى الباب بمفْتاحِها، فقابلَها بلبل مرحبا بها كعادتِهِ، ولكنه فـي هذه المرةِ لم يفر هاربا عِند اقْترابِها من غُرفةِ الجد، بل ظل مستَرخيا بين يديها، فتَعجبتْ هدى، وقالَت لجدها:

- لم يجرِ بلبل بعِيدا عن غُرفتِك يا جدي، ماذَا حدثَ وأنا بالخَارج؟

وقَفز بلبل على الكَنبةِ التي في غُرفةِ الجد، وتمدد في استرخاءٍ.

حكَى الجد لهدى كل ما حدثَ مع بلبل، وقالَ لَها:

لابد أن يعرفَ عمرو خَطأه، ويتعلم مِنه.

فقالَتْ هدى:

- عمرو طيب القلبِ يا جدي ويحبنا كثيرا، ولم يقْصد الإيذاء أبدا أو المضايقةَ لأي منا.

- أعلم يا هدى، ولكن..

وصمتَ الجد قليلا ثُم أكْملَ:

- ما رأيكِ ألا نَفْعلَ له أي شيءٍ يريده ولا نُساعِده في شيءٍ حتى يتعلم أن عليه واجبـاتٍ كما أن له حقوقٌ.

ووافقَتْ هدى جدها بالرغمِ من صعوبةِ الأمرِ عليها فعمرو أخُوها الوحيـد تَلعـب معـه وتُحبه، وكان بلبل يسمع حدِيثَهما باهتمامٍ بالغٍ، وقالَ بلبل لنفسِهِ: "سأفْعلُ مِثْلَهما لـن أحدثَـه أو ألاعبه حتى يتَغير ويعرفَ خَطأه ولا يكرره".

ودخلَ عمرو من البابِ في تِلك اللحظةِ، مبتسما باش الوجهِ كعادتِهِ، وقالَ لهدى:

أين طَعام الغَذاء؟

فقَالَتْ هدى:

جهزه لِنفْسك.

فنَظر لجدِهِ في استعطافٍ، فلم يلْتَفتْ لَه جده، بلْ قالَ لَه:

- اذْهب لغُرفِتِكِ، وافْتَح شُرفتَها فلابد أنها مِلِيئةً برائِحةِ الدخان، التي تَسببتَ فيها بتَركـك لبرادِ الشاي على البوتاجاز وهو مشْتعلٌ.

فقالَ عمرو لنفسِهِ: "إنهما غَاضِبان، سينْسيان بعد قَليلٍ كل شيءٍ، وسألْعب حتى ذَاك الحين مع شَبيهي "بلبل" كما يقولُ عنه جدي".

وابتسم عمرو، واتَجه لبلبل الممددِ على الكَنبةِ في غُرفةِ الجد، واقْترب مِنـه بخَـيطٍ مـن الحرير تَعود أن يلاعبه بِهِ، ولَكن بلبل لم يلْتفتْ إليه، ولم يهتم بِهِ، بلْ أعطاه ظَهره، فقـالَ لَـه عمرو:

حتى أنْتَ يا بلبل.

وتَركَه وخَرَج حزينًا متْجها إلى غُرفِتِهِ، ليلعب منْفردا على جِهازِ الكومبيوتر الخاص بِهِ.

عِندئذٍ قالَ بلبل لنفسِهِ: "لَم تَصلْ الرسالةِ لعمرو، نَحن نُحبه، ولَكن حقا كيفَ يفهم هكذا لـم ينَاقشه أحد، ولم يعلم بِما كان يمكن أن يحدثَ للجد نَتيجةَ سهوِهِ، وهو صغير السن. إذن سـأبلغُه الرسالةِ بطَريقتِي".

وجرى بلبل وذَهب إلى غُرفةِ عمرو، فوجده ساهِما أمام جهازِ الكُمبيوتر، وقفَ بلبل عِند بابِ الشرفةِ، وماء بصوتٍ حاد، وخَربشَ في بابِها، طَالبا فَتْحها.

فابتسم عمرو، وقال:

- نَعم. سأنفذُ كلام جدي، وأجدد هواءِ الغُرفةِ. عِنده حق فالغُرفةُ سيئةُ التهويةِ.

وفَتح عمرو الشرفةِ، وخَرج لاستَنْشاقِ الهواءِ، فصعد بلبل إلى سورِ الشرفةِ، وكان يبـدو الظمأُ على النباتاتِ، وبدايةُ الاصفِرارِ، فمصها بلبل، ثُم نَظر إلى عمرو، وجرى ثَم وقفَ عِنـد بابِ الغُرفةِ ينَاديه، وتَبِعه عمرو، فاتجه بلبل إلى وِعاءِ الماءِ الخَاص به، وشَرب مِنه، ثُـم عـاد مسرعا إلى النباتاتِ، وماء مرةً أخرى، ففَهم عمرو ما يريده بلبل، فابتسم لَه، وأحضر رشـاشَ الماءِ وسقَى النباتاتَ، وفي تِلك الأثْناءِ سمِع الجد وهدى مواء بلبل المتغيـر النبـراتِ، فتُوقَفَـا بالقُربِ من غُرفةِ عمرو يراقِبان عمرو وهما سعِيدان.

صعد بلبل إلى سرير عمرو، وظل يكرمشُ في ملاءتِهِ ثُم يفْردها بِأظافِرِهِ، وكانَتْ مـلاءةَ السرير مكْرمشةً وغَير مرتبةٍ، لأن مدبرةَ المنزل لم تأتِ صباح اليومِ، وعمرو لا يرتب غُرفتَـه معتمدا عليها، وأدرك عمرو ماذا يعنى بلبل، فأمسك بالملاءةِ وفردها جيدا، وبـدأ فـي تَرتيـبِ غرفِتِهِ، حتى انْتَهى، ورضِي بلبل عنه في تِلك اللحظةِ وعرفَ أن رسالتَه قد وصـلَتْ، فـصعد

على كتفيه، وظل يتمسح به في رضا، وقبله في خَدِهِ مداعبا، وهنا دخلَ الجـد فَـاردا ذِراعِيـه لحفيدِهِ، فجرى عليه عمرو دامِع العينين، وتَأسفَ له، وكانت هدى قد جهزتْ طَعام الغَداءِ، وأكلُوا جميعا معا في سعادةٍ، وقالَ الجد لَهم:

- الآن أنا حائر ماذا سأفعلُ بدون بلبل عِند عودةِ أمكما ورجوعِي لمنزِلي.

فضحك الطفلان، وماء القط بلبل، وصعد إلى المنْضدةِ وقبلَ الجد في خَـدِهِ، واحتـضنَه الجد في حنانٍ.

أرض الأقزام

يحكى أنه كان هناك أرض خِصبةُ التربةِ بالقُربِ من نَهرٍ، ولكنهـا كانـتْ بـورا غيـر مزروعةٍ. كان الناس يخافونَها ولا يقْتربون مِنها بلْ إنهم كانُوا يحكون حكاياتٍ عـن أشْـخاصٍ حاوَلُوا الاقْتراب منها فأصابتْهم لَعنةَ تلك الأرضِ وأصابتْهم مصائب كثيرةٌ وأمراض عديدةٌ، بل إن بعضهم ماتَ بمجردِ أن دخلَ تلك الأرضِ.

ومن بين أهل القريةِ المجاورةِ لتلك الأرضِ كان هناك فلاح اسمه "أمين". وكان أمين كلما مر كل صباحٍ على تلك الأرض، يقولُ لنفسِهِ:"ما أخْصب تلك الأرض ستصبح جنةً لو زرعـتْ. لكن بها لعنة. ليتنَي أستطيع دخولَها"، وحدثَ أمين زوجتَه في هذا الأمرِ، ولكنها خوفَتْه وحذرته من دخُول تلك الأرضِ.

وذاتَ يومٍ مر أمين على الأرضِ، فنظر إليها في حسرةٍ ثُم اقْترب خَطـوةً منْهـا، وقـالَ لنفْسِهِ:"سأدخلُ الأرض وأزرعها وتصبح مِلكًا لي أنا وأبنائي من بعدي". واقْترب خطوةً أخرى، وظل يقترب بحذرٍ وبخُطواتٍ بطيئةٍ من الأرضِ حتى أصبح على وشكِ دخولِها فتوقفَ مترددا، وابتلع ريقَه من الخوفِ فقد تذكر أقاويلَ أهل قريتِهِ عن الأرضِ فعاد مسرعا، ثُم توقـفَ فَجـأةً، وقالَ لنفسِهِ:"لقد اقْتربتُ من الأرضِ كُنتُ على أبوابِها، ولم يحدثْ شيئًا سأعود وأزرعها". وعاد مرةً أخرى وتَشجع ودخلَ الأرض وسار فيها قليلا. كان ينظر حولَه بعيونٍ مبحلقةٍ فَزعةٍ، ولكنه لم يلحظْ شيئًا غريبا، فابتسم لنفسِهِ وقالَ:"يبدو أنها حكاياتٌ وأساطير غير حقيقيةٍ سأبدأُ العمـلَ". وشَمر أمين عن ساعِديه وبدأَ في العمل.

وضرب الأرض بفأسِهِ ضربةً قويةً ثُم رفع رأسه ودار بوجهه في كل اتجاهٍ، فلم ير شيئًا، فاطْمأن، وظل يعملُ طُوالَ النهارِ في الأرضِ إلى أن غَربتْ الشمس وراء الأفقِ.

جلس أمين فوقَ حجرٍ ليستريح، فسمع صوتًا رقِيقًا يقُولُ له:

- عملٌ جيد. ليتك تزرع تلك الأرضِ التي يهملُها الجميع.

تلفتَ أمين حولَه، فلم ير أحدا فقالَ:

- من يكلمني؟ إني لا أرى أحدا.

فقالَ الصوتُ:

- أنا قِزم صغير جدا، لا أُرى إلا بصعوبةٍ، وأسكُن فـي تلـك الأرضِ، ولأن النـاس لا تَراِني بسهولةٍ، فإنهم يخافون مني، ويحكُون حكاياتٍ غريبةً شريرةً لم تَحدثْ، وأنا سعيد اليـوم بمجيئك لأن الناس سيعرفُون بمجيئك هذه الحقيقةَ، فأنا أحب الفلاحين ولا أُؤذِى أحدا، وأتمنى أن أرى تلك الأرضِ خضراء جميلةً مزروعةً.

فاطمأن أمين ورحب بالقَزمِ، وظَلا يتسامران، وأخيرا قالَ القَزم لأمين:

- أريد أن أساعدك في الزراعةِ.

قال أمين:

- شكرا لك، ولكن كيفَ ستُساعِدني وأنتَ صغير الحجمِ ولا تَقدر على العزق.

فرد عليه القَزم قائلا:

- لدى أصدقاء كثيرون، وسأعزقُ أنا وأصدقائي الأرض بحجرٍ صغيرٍ، ودائمـا سـنفعلُ مثلما تَفعلُ.

وسعِد أمين بصداقتِه الجديدةِ للقزمِ، وعاد إلى بيتِه سعيدا وحكى لزوجتِه ما حدثَ، ولكنّـه أوصاها بعدمِ التحدثِ في هذا الأمرِ لأحدٍ من أهل القريةِ حتى لا يخافُوا منه إلا عندما يبدأ النباتُ في النمو ويراه الناس فيتشجعون مِثلَه ويزرعون بقيةَ الأرضِ الشاسعةِ.

وفي الصباحِ اتجه أمين إلى الأرضِ، وأكملَ عزق قطعةِ الأرضِ التي حددها لنفسِه، وفي ثوانٍ كانَتْ الأحجار تصعد وتهبطُ عازقةً الأرضِ مِثلَه وكأن هناك آلافُ الأيدِي تَحرثُ الأرض في ذاتِ الوقتِ.

وظل أمين والأقْزام يعملون في الأرضِ كل يومٍ. فبعد الحرثِ بدأَ أمين في جمع الحشائش وحرقِها، وإذا بآلافِ الأيدِي تَجمع الحشائشَ معه، وينتهي كل شيءٍ في زمنٍ قـصيرٍ لـم يكُـن يتوقعه أمين، ثم بدأُوا معا في نَثر حبوبِ الذرةِ، وعند مرحلةِ الري طلب أمين من أصـدقائِه ألا يقلدونَه وألا يسقُوا الأرض مِثله، حتى لا تغرقَ وأن يتركُوا تلك المهمةَ لَه.

وبعد أيامٍ، بدأَ نَباتُ الذرةِ في النمو وساد اللون الأخضر في قطعةِ الأرضِ التي اختارهـا أمين، وكان أهلُ القريةِ يتعجبون من شجاعتِه ويحسدونُه عليها، ولكنهم كانُوا ينْتظـرون مـاذا سيحدثُ له؟ وفي قَرارةِ أنْفسِهم كانُوا يتمنون أن ينجح أمين في زراعتِه وأن يحصد المحـصولَ حتى يفعلُوا مِثلَه، ويزرعوا بقيةَ المِساحةِ الشاسعةِ من الأرضِ البور.

وفي يومٍ من الأيامِ مرض أمين، ولم يستطع الذهاب إلى الحقل، فطلب من زوجتِه "فاطمة" أن تذهب إلى الحقل، لتبعد الطيور عن عيدان الذرةِ، لكنها تذكرتْ كُل حكاياتِ أهل القريةِ عـن الأرضِ، فرفضتْ أن تَذْهب، فبكى أمين خوفًا على زرعِه، وقرر أن يذهب بالرغمِ من مرضِه، فرقتْ لَه زوجتُه وذهبتْ إلى الحقل بدلا منه.

وعند دخولِها الحقلَ رحب بها صوتٌ رقيقٌ، عرفَتْ أنه القزم الذي حدثَها زوجهـا عنـه، فابتسمتْ وقالَتْ لَه:

- اليوم يجب أن نُبعد العصافير عن عِيدان الذرةِ، وأخذَتْ حجرا وألقتْه على العـصافيرِ، فارتَفعتْ آلافُ الأحجار تتطاير إلى أعلى في الهواءِ، فاطمأنتْ "فاطمة" وأدركتْ أن مهمتَها لـن تكون صعبةً، وأن هناك من يساعدها، وأن العصافير المحلقةَ في السماءِ لن تَجرؤ على الاقْترابِ

من عِديدان الذرةِ، وعادتْ إلى البيتِ وحكتْ لأمين ما حدثَ وهى تَضحك غير مصدقةٍ أن تلـك الأرض الخصبةِ لم تكن تُزرع بسببِ حكاياتٍ تُروى غير حقيقيةٍ، وتَصديق الناسِ لها.

وفي اليومِ التالِي فعلتْ فاطمة مع العصافير مِثلما فعلتْ في اليومِ السابقِ وكذلك الأقـزام، وعند الغروبِ أحستْ فاطمة بالعطشِ، فمدتْ فاطمة يدها لتَكْسر عود ذُرةٍ وتَمصه، ولكنها سمِعتْ صوتَ أمين من أول الحقل يهتفُ بها محذِرا لها:

- لا لا يا فاطمة. لا تكسِري عود الذرةِ سيفْعلون مِثلَكِ.

فأبعدتْ فاطمة يدها عن عودِ الذرةِ بسرعةٍ وجرتْ نَحو أمين مرحِبةً به وسعِيدةً لشِفائِهِ.

وسمِع أمين صوتَ القَزمِ يقولُ له:

- مرحبا بِك يا أمين، لولا يقظتُك لضاع كل مجهودِك هباء، وانكَسرتْ عيدان الذرةِ كلهـا في لحظةٍ واحدةٍ.

وابتسم أمين للقَزمِ، وجلس يتسامر معه، فقد عرفَ السر في لعنةِ تلك الأرض التي يحكي عنها أهلُ القَريةِ الحكاياتِ.

القط والحفرة

يحكِي الرواةُ حكاياتٍ كثيرةً عن القط "بلبل" ويخْتلفون كثيرا في تفاصيل الحكايةِ وأحداثِها، ولكنهم في هذه المرةِ اتفقُوا جميعا في تفاصيل الحكايةِ، وكانُوا عندما يرونَهـا لا يكفـون عـن الضحكِ حتى أن السامعين قد لا تصلُهم بعض الجمل.

كان القط بلبل واقفًا مع مجموعةٍ من أصدقائِهِ القططِ، وأمامهم طريقٌ طويلٌ، نظر القـط بلبل إليه، وقالَ:

- الطريقُ مليءٌ بالحفر، ولكنني أستطيع أن أتخطاها جميعا حتى أصلَ لنهايتِهِ.

نظرتْ القططُ بعضها إلى البعض ثم ضحكتْ، ولكن أحدها اقترب منه، وقالَ له بعطفٍ:

- الطريقُ بِه حفرةٌ واحدةٌ يا بلبل. انْظر إليه جيدا، فالحفرةُ الوحيدةُ بنهايةِ الطريق.

لكن بلبل لم يسمعه، وواصلَ كلامه قائلا للقططِ:

- انْظروا.

وجرى بلبل وقفز إلى الأمامِ قفزةً ثُم نظر خلفَه إلى القططِ سعيدا فقد تخطى الحفرةَ الأولى التي لا يراها غيره، فضحكتْ القِططُ، وظن بلبل أنها سعيدةً به. فقفز قفزةً ثانيـةً، ونظـر إلـى القططِ أيضا، فضحكتْ القططُ وظلتْ تَتَهامس عليه.

وظل بلبل يقفز حتى وصلَ إلى نهايةِ الطريق وقفز القفزةَ الأخيرةَ، واعتدلَ في جلـستِهِ، ونظر خَلفَه بسعادةٍ فقد وصلَ لنهايةِ الطريق. انْدهشَتْ القططُ، وظلتْ تتبادلُ النظر، ثُم انفجـرتْ ضاحكةً، فقد وقع بلبل داخِلَ الحفرةِ الوحيدةِ في الطريق والتي لا يراها بلبل.

حتى هنا اتفقَ الرواةُ، ولكنهم اخْتلفُوا في نِهايةِ الحكايةِ، فالبعض أكْملَ الحكايةَ قـائلا: إن القط بلبل لم يدرك أنه وقع في الحفرةِ، وظل سعيدا بتخطيه كل حفر الطريـق التـي لا يراهـا غيره.

وقالَ البعض الآخر: إن القط الذي ذَكر لَه الحقيقةَ في البدايةِ، ذهب إليه، وقالَ لَه:

- إنك جالس في الحفرةِ يا بلبل.

فضحك بلبل ولم يصدقْه، فمد القط العطوفُ يديه داخلَ الحفرةِ ونبشَ بِها، فتصاعد نِثـار الغبار، ولم يره بلبل إلا عِنْدما لامس وجهه، فصمتَ شاردا. أدرك أنه في قلبِ حفرةٍ. ومد القط يده إلى بلبل، وساعده على الخُروجِ.

وقالَ البعض الآخر: إن بلبل من شِدةِ سعادتِهِ لتخطيه كل حفر الطريق الوهميـةِ التـي لا يراها غيره، ظل يحرك يديه وقدميه، فاتسعتْ الحفرةُ قليلا، وثَار نثار الغُبار على وجههِ، وبـدأ بلبل يغوص في جِلستِهِ داخلَ الحفرةِ، فأدرك أنه وقع في الحفرةِ، ووثب إلى أعلى خارجـا مـن الحفرة، ولم يعد لأصدقائِهِ القططُ مرةً أخْرى وسار وحيدا.

العب وارسم واكتب:

ارسم مشاهد متعددة للقصص المنشورة، وارسلها إلينا، وأجمل الرسومات ستكون هي المصاحبة للقصص في الطبعات التالية، وبأسمائكم.

هل أعجبتك هيئة القط بلبل؟ أرسل إلينا أوصاف قطتك التي تحبها.

صف مشهدا خاصا رأيته لقط ترى أنه مشهد نادر قليل الحدوث.

كان "بلبل" يحب الوحدةَ، والجلوس بمفردِه، ويكره أن يجالسه قط آخر، وفي يومٍ من الأيامِ، رأى "بلبل" ظله، فظنه قطا، فقالَ لنفسه:" أبتعد عن القططِ، فتأتي إلي، لابد أن أرحلَ عن هذا البيتِ، وأبحثُ عن مكانٍ آخر، ليس فيه قِططٌ".

ضع نهاية جديدة للقصة واذكر رأيك في تلك القصة الحالية المقروءة بالكتاب؟